أبو بكر أحمد باقادر *

علماء الحرم الشريف: نشر النور والزهر نموذجًا

(الصفحات ١٧٣- ١٨٦)

ملخّص

اهتمّ المؤرخون على مرّ العصور بمكة، سواء في إطار رجالها، أو وقائعها، أو أحداثها السياسية وأمرائها، فمكة حاضرة في كتب الطبقات وكتب التاريخ الخاصة. ورغم أن هناك نشاطًا لنشر ما يرتبط بالبلد الأمين، لكن المجال واسع لعمل أكبر خاصة في مجال الكتابات الشخصية عن مكة. ومن المهم الاستفادة من هذه المدونات لفهم الواقع الثقافي والاجتماعي لهذا البلد، فهو يمثل عيّنة مركزة للعالم الإسلامي كله. ومن تلك المؤلفات الهامة كتاب: *نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة*، ويضم ترجمة لـ(٦٠٥) من علماء مكة رجالًا ونساءً، والباحث يستهدف إنجاز مشروع لدراسة هذا الكتاب بالبرنامج الحاسوبي ليخرج منه بالنتائج المطلوبة في فهم خلفيات هذه المدينة، بل العالم الإسلامي أجمع.

مصادر التاريخ المكي

ربما كانت مدينة مكة من أكثر مدن العالم التي حظيت بالتواريخ والاهتمام بتدوين ما جرى ويجري فيها. والكتابات التاريخية عن المدن الإسلامية عمومًا

---

* - باحث وأستاذ جامعي سعودي.

ومكة خصوصًا ليست على طرازأو أسلوب واحد. بل يمكننا الادعاء بان هناك أكثرمن «جنس كتابي» للتأريخ عن المدن العربية المسلمة. فهناك ما يمكن أن نسميه تاريخ المدينة عبرتاريخ سكانها وهو فن طوره المسلمون واعتنوا به وحظيت مكة بالعديد من كتب التاريخ التي تناولت رجالات وسكان ومجاوري مكة المكرمة. وبعض هذه الكتابات يدخل في كتب التاريخ مباشرة وبعضها في مجالات قريبة مثل المغازي والسيروكتب رجالات الحديث والطبقات العلمية عمومًا. لكن مكة حظيت مع ذلك بكتب «تاريخية» سجلت أهم رجالاتها ولعل كتاب *العقد الثمين*[1]. وما تلاه من مصنفات تاريخية تواصلت حتى قرون متأخرة جدًا لتنتهي *بنشرالنوروالزهر*[2] *وإفادة الأنام للغازي*[3] تمثل هذا «الجنس الكتابي» الهام.وفي هذه المتون التاريخية الهامة، تورد أسماء الشخصيات مبوبة بحسب الترتيب الأبجدي للاسم الأول مع تفاصيل عن سيرة صاحبها، وتقصربحسب المتوافرمن معلومات.

وهناك ما يمكن أن يسمى بالسجل التاريخي السنوي وفيه رصد بأهم الوقائع والأحداث والأسماء تذكرمفصلة في كل عام، وهذا النوع من التسجيل يقدم صورة دينامية حية للوقائع والأحداث التاريخية وربما علل أسبابها المحلية والدولية، من أمثلة هذه الكتابات كتاب *إتحاف الورى بأخبارأم القرى*[4] وما تلاه من كتب على منواله. وكما أوضحنا فإن هذا الجنس الكتابي، يمكن أن يكون مكملًا وموضحًا لجوانب تتخطى مسألة الترجمة للأعيان من علماء ومفكرين وفقهاء، كما هو اهتمام الجنس السابق. وبصورة جوانب تفصيلية من حياة المدينة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية مفصلة من عام لآخر، ومن ثم فإنها توفرمعلومات عن التحولات والتغيرات التي مرت وتمربها المدينة.

وهناك جنس كتابي ثالث يهتم بالتأريخ للسياسة ورجالاتها ومن ثم الأحداث

السياسية في حياة المدينة المقدسة، ومن هذه الكتابات كتب *غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام*[٥]. وهنا نجد بسطًا للسياقات والأوضاع السياسية التي ربما فسرت وجود أشخاص معينين أو قيام مؤسسات ما ونحو ذلك في مكة.

بالإضافة إلى وجود العديد من الكتابات التي قدمت تراجم لمن تولوا سدة الحكم في مكة، لعل من أحدثها ما كتبه الدحلان *حكام مكة*[٦]،والعديد من الكتب التي لم تكتف بذكر ولاة مكة و إنما أوردت معلومات عن من ولي إمارة الحج من أوطانهم إلى مكة[٧] ومن حج من أمراء المؤمنين والخلفاء والسلاطين المسلمين على مرالتاريخ. وبذلك يمكن للمطلع على هذه الكتابات التاريخية أن يتزود بنظرة تفصيلية تؤكد على حيوية هذه المدينة وحيوية ما يدور فيها،ولو أثناء الموسم[٨].

ومن الكتابات التاريخية ما يمكن تسميته الكتابة التاريخية الشاملة ومن أبرزها ما دبجته أقلام الأزرقي[٩] والفاطهي[١٠] انتهاء بالسباعي[١١] من تواريخ عامة للحياة الاجتاعية والاقتصادية في مكة. ولقد سعى العديد من الأدباء في مكة في العقود الأخيرة إلى تسجيل جوانب ثقافية من حياة مكة والمكيين غدت أثرًا بعد عين من هؤلاء الرفيع[١٢] والسباعي[١٣] والمغربي[١٤] وسواهم.

ومكة حاضرة بقوة في العديد من التواريخ الخاصة، مثل كتب الطبقات، وبالذات في كتب طبقات الفقهاء والمفسرين. فهناك مدارس علمية هامة قامت ولا يزال إشعاعها مستمربإذن الله في هذه العلوم الإسلامية.

ولقد توافرت في كافة لغات العالم، ومن أبرزها العربية، كتابات شخصية حميمة عن مكة،أسميتها بأدب الحج وهي تدورفي فلك أدب الرحلة الحجازية، يصورفيها أصحابها رحلتهم (حجهم) إلى هذه المدينة العظيمة. ولن نكون مبالغين إن قلنا إن هذا الجنس الأدبي/ الثقافي لا يزال جنسًا مجهولًا وما نعرفه من أدب الرحلات هو أقل القليل، وينبغي بذل جهود كبيرة لاكتشاف ما يمكن أن يقدمه

هذا المنجم بالمعلومات. ولا يقتصر الأمر على الكتابة الفصحى الرفيعة، فالأدب الشعبي غني جدًا بما ذكر من أحاسيس ومشاعر ومعلومات عن هذه المدينة الخالدة[١٥].

ورغم أن العقود الثلاثة الماضية شهدت نشاطًا مشكورًا لنشر العديد من هذه المدونات التاريخية في طبعات محققة وتقدم الفهارس الميسرة للباحث أو الدارس، إلا أن هذه الجهود، مع تقديرنا الكبير لها، لا تزال في أول الطريق والحاجة ماسة جدًا لمزيد من التبويب والفهرسة ومن ثم تسهيل توافر المعلومات للباحثين. فكما هو معروف، هذه المتون التاريخية بالصورة التي كتبت بها تشكل فقط مادة أولية غنية، لكنها مادة أولية تتطلب التحليل والسير والحفر والأبحاث التاريخية التي تنطلق من أسئلة إشكالية هذه المتون تقدم لها المادة العلمية للإجابة عنها.

وهذه المعلومات، تشتكي ـ كما هو واقع الحال في حال أي بيانات أولية ـ من النقص وتضارب المعلومات أو تناقضها أحيانًا. كذلك بوصفها بيانات أولية الحاجة ماسة لضبطها من أجل الوصول إلى ما يسمى «بيانات نوعية» يمكن اعتمادها في أي تحليل. ولا مانع للوصول إلى ذلك من دعمها بالنصوص الواردة في مظان عديدة أو بالإحالة إلى الشواهد المادية الإشارية ونحو ذلك. وربما كانت الحاجة ماسة من أجل سرعة الحصول على البيانات والمعلومات، أن تدخل في الحاسوب، بحيث يمكن للباحثين استرجاعها بسهولة عند الطلب من ناحية ومراجعتها في العديد من المصادر العلمية، ومن ثم الخروج ببيانات مؤثقة تاريخيًا.

تاريخ مكة الثقافي والاجتماعي:

رغم وجود العديد من المحاولات لتقديم دراسات تاريخية حديثة عن مكة المكرمة، لكن مع ذلك بإمكاننا القول إن المكتبة التاريخية المكية لم تظفر بعد

بالدراسات الحديثة التي تقدم لمكة نصوصًا تستخدم الأساليب التاريخية الحديثة. وعمليات التحقيب التاريخي، بحيث يمكننا الحديث عن فترات تاريخية قديمة وأخرى وسيطية وحديثة، لا تزال مناطة بالأفكارالعامة عن التاريخ الإسلامي، وهي في ذلك افتراضية وليست دقيقة، تعتمد على شواهد ووثائق تاريخية علمية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات التاريخية الكمية لم تعرف طريقها بعد بشكل واضح لمعالجة هذه النصوص والمتون التاريخية. فكما هو معروف هناك أساليب ووسائل علمية جديدة تسعى إلى تحويل البيانات والمعلومات الواردة في المتون التاريخية العامة إلى أرقام، كي يسهل تبويبها ومن ثم معالجتها . فمثلًا يقدم لنا المؤرخ والباحث الأمريكي في التاريخ الإسلامي المبكرروبرت بوليه [١٦]: دراسات كمية عن فتوحات بلاد الشام ومصر، وعن طريق هذه المحاولات التاريخية الكمية تمكّن من إبرازالعديد من الأسئلة والقضايا من ناحية، وتمكن أيضًا من لفت النظرإلى أن عملية الأسلمة تمت تدريجية، وأوضح كيفية انتشاراللغة العربية وأمورأخرى عديدة.

وتقدم دراسات مونتجمري وات [١٧] في كتابيه *محمد في مكة* و*محمد في المدينة* واستخدامه لبعض هذه المتون والتراجم لدراسة الولاءات القبلية والصلات الشخصية في تفسيربعض جوانب ما جرى في السيرة النبوية من ناحية وما تم من تحولات في المجتمع العربي في فترة الرسالة. لقد أمدت البيانات وات بمعلومات مهمة لاختيارالعديد من الفروض والآراء.

وبغض النظرعن النتائج التي توصل إليها هؤلاء العلماء،تبقى مسألة الفائدة من استخدام هذه البيانات ملحة للتعرف على جوانب عديدة من حياة المكيين وتاريخ مكة شرفها الله.فهذه البيانات لا يمكن التعامل معها بوصفها بيانات فردية غير قابلة للتراكم، أو أن هذه المعلومات عند تراكمها لا يمكن أن تقدم لنا صورة أكثرغنى وعمقًا عما تقدمه من تراجم للأفراد كلًالوحده!

بالإضافة إلى ذلك فإن أدوات تصنيف البيانات وترميزها ومن ثم تحويلها إلى بيانات كمية أصبح من الأمور الميسورة، بل وهي تستخدم بشكل واسع في الدراسات التاريخية. وكما أوضحت في دراسة سابقة عن السجلات العدلية بوصفها منهلًا غنيًا وهامًا لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي، يمكننا أن نعيد التأكيد نفسه. بل إننا نشهد في الفترة المتأخرة العديد من الدراسات الرائدة لبعض جوانب حياة المدن: دراسة الأعيان أو العلماء أو الحياة الأسرية أو جوانب من الحياة الاقتصادية اعتمادًا على السجلات العدلية أو كتب التراجم. ومما يؤسف له أن من يقومون بهذه الدراسات هم في غالبيتهم من المستشرقين أو العلماء المحدثين فلقد وقفوا على العديد من الدراسات التاريخية التي قام بها زملاؤهم في دراساتهم التاريخية عن أوروبا وخلافها. ولعل مدرسة الحوليات، وبالذات كما هو الحال في كتابات مؤسسها فردناند بروديل [١٨] وكتاباته عن البحر الأبيض المتوسط، أو كتابات جواتين [١٩] عن جنيزالعاهرة ومن ثم كتاباته عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليهود مصرومن حولهم من الأمثلة المشهورة والرائدة عن إمكانيات إعادة الفائدة من البيانات الأولية وأحيانًا المعلومات المتناثرة. إن عملية إعادة التبويت والتصنيف ومن ثم ربط هذه البيانات ببعضها يفتح آفاقًا واسعة وكبيرة لمزيد من التحليل ومن ثم الإجابة على أسئلة كبرى كان يعتقد لفترة متأخرة جدًا أنه لا توجد معلومات أكيدة للإجابة عنها، ومن ثم مال البعض للتخمين أو إصدار أحكام انطباعية.

ويوضح لنا هارلود موتسكي [٢٠] في دراسة حديثة، كيف أن الدراسة الكمية التفصيلية، يمكن أن تحسم جدلًا وآراء انطباعية استمرت قرونًا، عندما عالج مسألة مساهمة بعض الموالي في تأسيس علم الفقه، وكذلك دحض الآراء القائلة بتأثير الفقه الروماني عبر النصارى واليهود على الفقه الإسلامي، انطلاقًا من دور

مزعوم لبعض الموالي. وكانت المعالجة متميزة بالدقة والأناقة والبساطة معًا، لكنها فوق كل ذلك حاسمة.

نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة مصدر لدراسة دور العلماء:

نسعى في هذه المداخلة لتقديم كتاب الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير، قاضي مكة والمتوفي عام ١٣٤٣، *نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة*، وكيف أنه باستخدام أساليب التاريخ الكمية يمكن تحويل هذا المصدر التاريخي إلى منجم معلومات هام عن أعمال علماء الحرم المكي تخصيصًا من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

والنص الذي سنعالجه هنا هو المختصر الذي قام بتبويبه وتحقيقه كلًا من محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ولقد تم التحقيق عن مخطوطة للكتاب بمكتبة الشيخ عبدالوهاب الدهلوي، ويحتوي الكتاب على تراجم (٦٠٥) علماء من علماء مكة المكرمة ومن بين هؤلاء (٣٠) سيدة! وينتمي هؤلاء العلماء الأفاضل إلى المذاهب الفقهية الأربعة وتعود أصولهم الإثنية إلى كافة الأعراق الإسلامية، فهم من العرب والأفارقة ومن كافة أصقاع آسيا شرقًا وجنوبًا ووسطًا بل وأقاصي جنوبها وكذلك الحال في أفريقيا!

والكتاب يقدم تراجم مختصرة عن هؤلاء العلماء ، وتتفاوت التراجم المقدمة من حيث المادة المقدمة ومن حيث التفاصيل التي قد تقدم لهذا العالم عن غيره،لكن إجمالًا هناك انتظام في تقديم معلومات أساسية عن الجميع. وحتى نفيد من هذه المعلومات أو بالأصح البيانات الأولية، سعينا إلى تحديد (١٤) مدخلًا للمعلومات قمنا بإعداد البرنامج الحاسوبي لترميزها و إدخالها فيه.

وهذه المداخل أو المتغيرات بلغة العلوم الرياضية تشمل: اسم العالم وتاريخ ميلاده ومكان الميلاد، تاريخ الوفاة ومكانها، اللقب، الكنية،المذهب، قائمة المصنفات

الذي ألفها،العلوم التي تعلمها، العلوم التي قام بتدريسها، أشهرأساتذته كما ورد في المتن، أشهرتلاميذه كما ورد في المتن، أعماله العامة، أهم الصفات التي اشتهر بها وأخيرًا سفراته.

بطبيعة الحال قد تغيب في المتن بعض هذه المتغيرات أو قد لا تنطبق على المترجم له لكن بحسب اطلاعنا على تراجم الكتاب كان هناك حرصًا من المؤلف على ذكر كافة هذه البيانات. ولقد عملنا على إعداد البرنامج الحاسوبي على إدخال كافة التفاصيل الممكنة،لكن بشكل معياري، فمثلًا قد نكتفي في ذكرالاسم بالاسم الرباعي فقط. وفي حالة عدم توافرهذه المعلومة فإننا سنسعى إلى إكمال النقص من مصادرأخرى، وفي حالة تقديم معلومات أطول نكتفي بأربعة أسماء فقط! وفي حالة عدم توافرمعلومة ما،مثلًا عدم تقديم المذهب أو اللقب أو الكنية فإننا نسعى إلى توفيرها من مصادرأخرى، إن أمكن، وفي حالة عدم توافرها سنترك ذلك بدون بيانات.

أما بخصوص المصنفات، فإن المؤلف غالبًا ما يقدم معظم مصنفات المترجم له، وهي في مجالات علمية عديدة،لذا فإن البرنامج مصمم على ذكر كل عنوان لوحده ثم الإشارة إلى العِلم الذي ينتمي إليه: فقه،توحيد، تفسير، أدب، نحو، سيرة (تاريخ)، تصروف، ومن ثم قد نستعين بالكتاب نفسه في إكمال ما قد ينقص في أسماء الأساتذة أو الطلاب.

ولقد كانت لبعض العلماء مشاركات مهمة في الحياة الاجتماعية أو السياسية ولقد أخذنا بهذه المعلومات وقمنا بتبويبها إلى نشاطات مختلفة تعكس ما كان يجري في الساحة الفكرية والسياسية العامة. وكذلك يذكرالمؤلف بعض الصفات الشخصية للمترجم لهم، عرفوا بها على نطاق واسع في الأوساط المكية أو العالم الإسلامي أبرزتها لتوضيح الأدوارالثقافية والسياسية لعلماء الحرم الشريف

على المستويين الشخصي والعام.

أما رحلات وسفرات هؤلاء العلماء ـ وهي سفرات قام بعضهم بها فقط، فكانت مهمة للتعرف على شبكات العلاقات العلمية والسياسية لهؤلاء العلماء الذين كانوا يتنقلون بين أوطانهم التي ولدوا فيها ومكة وعبرها إلى أجزاء مختلفة من العالم، كما هو حال العديد من العلماء الحضارمة مثلًا.

ونظرًا لأن المشروع في مراحله الأولية،فإنني سأقدم وصفًا موجزًا لما يمكن أن يحققه المشروع بإذن الله للدراسات المكية التاريخية. أولًا قمنا بإعداد أداة جمع المعلومات وهي ـ كما ذكرنا ـ في (١٤) مدخلًا بحسب ما أوردنا من تفاصيل. وسيقوم فريق البحث بإدخال هذه المعلومات في الحاسوب ثم مراجعة البيانات التي تم إدخالها للتأكد من صحتها ومطابقتها لماورد في المتن الأساس، وهذا يعرف باختيارجودة البيانات من حيث الصدق والثبات.

بعد ذلك سنتمكن من الحصول على بيانات تفصيلية عن المترجم لهم بشكل عام من حيث سنوات الميلاد والوفاة وتوزيعهم على المذاهب الفقهية وقائمة بألقابهم وكنياتهم وغيرذلك من معلومات. لكن هذه المعلومات ما هي سوى فهرسة للبيانات الواردة وتبويت وترتيب لها،لكن وجودها الآن بهذه الصورة المنظمة والرقمية سيساعدنا بإذن الله على الإجابة على العديد من الأسئلة، من خلال ما يعرف بالمقاربات والمقابلات بين البيانات Crosstabulation وهي أمورسهلة ومتعارف عليها عند المختصين، كذلك ستمكن من التعرف على مشجرات الأسماء والكتب التي قام هؤلاء العلماء بتصنيفها أو دراستها، كما سنوضح.

فمثلًا سنتمكن من خلال معرفة تواريخ الوفيات وربطها بمتغيرات أخرى معرفة معلومات في غاية الطرافة والأهمية. فمثلًا بالربط بين تواريخ الوفيات والمذهب الفقهي، يمكننا معرفة أي علماء المذاهب كانوا الأكثرانتشارًا ووجودًا في عقود مختلفة في الحرم الشريف عمومًا. بمعنى مثلًا بإمكاننا عن طريق هذه التواريخ

في كل قرن: العاشر، الحادي عشر، الثاني عشر، الثالث عشر، الرابع عشرمعرفة الحرم كم كان عدد علماء السادة الأحناف، الشافعية، المالكية، الحنبلية، في هؤلاء العلماء.

وانطلاقًا من ذلك يمكننا تقدير تبعات ذلك الفكرية والسياسية والعلمية وأثر ذلك على التفاعل والتنافس بين هؤلاء العلماء. بل يمكننا أن نقدرالأمرحتى بحسب العقود ومن ثم معرفة هذه الأعداد في تفاوتها بين فترة وأخرى ومن ثم إمكانية تفسيرذلك بحسب تاريخ مكة وما وقع فيها من أحداث أو النظام السياسي السائد وكذلك نوعية التدخلات الخارجية والسياسية الدولية، خاصة وأننا نتناول حقبة كان الاستعمار وتدخله معروف في أحوال العالم الإسلامي!

ويمكننا فعل الشيء نفسه بخصوص العلاقة بين مذهب المترجم له ونوعية المصنفات اتي ألفها وكذلك التي تعلمها أو قام بتدريسها،ومن خلال المقارنات يمكننا التعرف على اهتمام علماء المذاهب المختلفة العلمية، بحيث يمكننا الإجابة على أسئلة مثل: هل كان الأحناف أكثرالعلماء اهتمامًا بالدراسات الفقهية؟ وما هي أهم المصادرالعلمية التي يقبلون عليها عبرالقرون؟ وما هي المصنفات التي صنفوها؟ بل يمكننا إجمالًا الربط بين نوعية الكتب المصنفة أو المدروسة أو المدرسة بحسب تواريخ الوفيات، لتقديرفترات الانتعاش الفكري أو انحساره في حياة الحرم الشريف العلمية ومحاولة تفسيرذلك بحسب الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية السائدة آنذاك على المستويين المحلي والدولي؟

ويمكننا الربط بين اللقب والكنية والمذهب لمعرفة الخلفيات الاجتماعية والإثنية لهؤلاء العلماء.هل الأحناف في غالبيتهم من شبه القارة الهندية ووسط آسيا والأناضول؟ هل السادة الشافعية من اليمن و إندونيسيا ومصروهكذا. والعمل على معرفة دلالات ذلك على المستوى الاجتماعي والثقافي. بل أحيانًا قد تساعدنا

البيانات نفسها ـ كما وجدت ـإلى أنه داخل المذهب الواحد هناك تفاصيل تستحق الدراسة والتفصيل. فمثلًا بين الشافعية نجد نوعًا من تقسيم العمل.فالسادة العلويون من الشافعية الحضارمة الشافعية من غيرالسادة العلويين إلى الفقه والقضاء ينافسهم في ذلك الشافعية المصريين، أما الشافعية الأندونيسيين فإنهم يهتمون في الغالب بدراسة وتدريس اللغة والأدب العربي. وهكذا نجد إذن تفاصيل يمكن أن تفسردينامیات الاهتمامات التي يقوم العلماء بتدريسها والاهتمام بها.

أما الربط بين المترجم لهم وأساتذتهم فإن هذا الربط سيساعد جدًا على التعرف على ما يمكن أن يسمى سلاسل العلماء ومدارسهم، وهي ستمكن من الإجابة عن من علّم منه؟ وبربطها بالمذهب يمكننا الإجابة عما إذا كان التعليم مقتصرًا في مجال معرفي أو كافة المجالات المعرفية داخل مذهب واحد أم أكثر؟!

بل وبالإمكان التعرف على مدى استمرارية حلقة أوسلسلة تعليمية عبرالزمان، والإجابة عن الكيفية التي تواترفيها هذه السلسلة من العلماء، وما هي العوامل التاريخية: الاجتماعية أوالسياسة التي حالت أوساعدت على الاستمرار، وفي هذا الخصوص تصبح العوامل الداخلية والخارجية مهمة في فهم ما يجري على الساحة العلمية الفكرية والتفاعلات المستمرة بين هذه الآفاق.

أما مهام العلماء وهي وإن كانت محدودة في معظم الأحيان بمهام تدريسية أوقضائية أولعب بعض الأدوارفي الحياة السياسية والثقافية المحلية، لكن في بعض الأحيان قد تأخذ شكل سفارات للتدخل في سياسات بعض الدول العربية أوالإسلامية. فإن هذه المهام ستوضح الأدوارالتي لعبها العلماء في حياة مجتمعهم وتأثيرهم فيه وأهمية هذا التأثير. فكما هو معروف للعديد من هؤلاء العلماء طلابٌ ومريدون من أصحاب المهن والتجاروهؤلاء يشكلون بشكل ما جمهورالمثقفين

في تلك الفترات التاريخية ومن المفيد معرفة المعلومات لفهم ومعرفة ما يجري على الساحة الفكرية والاجتماعية المكية.

أما أسفارالعلماء وشبكات العلاقات فيما بينهم فإنها إن ربطت بالمذهب والكنية فإنها ستوضح مجالات التأثيرالسياسي والثقافي لهؤلاء العلماء في حياة الأمة آنذاك، وكذلك ربما قدمت لنا معلومات عن أدوارهم في معارك الاستقلال والتحريرمن ربقة الاستعمار. كذلك توضح مثل هذه الارتباطات مدى التداخل بين مدرسة الحرم الشريف مع غيرها من مدارس فكرية في العديد من الأقطار الإسلامية وأهمية ذلك في معرفة ودراسة الحركة العلمية والفكرية العامة.

أما ما يقدمه كتاب *نشرالنوروالزهر*عن الفاضلات من علماء الحرم الشريف فإنه يشكل صفحة ناصعة ومشرفة من تاريخنا العلمي والاجتماعي تستحق الإشادة والفخر. فلقد توافرفي المسجد الحرام ومكة إجمالًا زمن كانت فيه حلقات علم ودرس للمرأة، ولقد توصلت بعضهن إلى مستويات رفيعة من العلم والمعرفة، وجعلت مؤرخًا مثل السيد عبدالله مرداد أبوالخيريضع لهنّ مكانة ومنزلة في تراجمه لعلماء وأفاضل مكة.وبطبيعة الحال ربط هؤلاء النساء من حيث تواريخ الوفيات أوالمذهب أوالكنية سيساعد على معرفة أي المذاهب عنيت بتعليم المرأة وتشجيعها على النبوغ والتبريز وكذلك أي الخلفيات الإثنية، هل للعربيات دورأم كل الدورلغيرالعرب؟إن وجود الطبريات وبهذا الزخم يدل إضافة إلى كل ذلك على وجود تقاليد عائلية ربما امتدت لفروق في شأن تعلم المرأة ورقيها.

أما معرفة ما اهتمت المرأة بتعلمه وتعليمه وأشهرالتلاميذ والأساتذة فإن هذه الارتباطات تمكننا من إبرازوفهم ما يمكن أن نسميه المدرسة النسائية المكية. وكيف أن أوضاع المرأة في القرون الماضية ـ على قلة المعلومات المتوافرة ـ لم يكن كله جهلاً وأمية كما هو سائد، وربما مزيد من البحث والتنقيب سيكشف عن

تفاصيل أوسع وأكبر عن المرأة وأدوارها العلمية والفكرية المختلفة.

وهكذا فإن عملية تكميم البيانات يمكن أن تساعد على فتح آفاق جديدة والإفادة القصوى من بيانات فردية متقطعة مجزأة. نأمل أن نتمكن من إتمام مشروعنا هذا، الذي لا تقف في طريقه سوى بعض الصعاب المالية والفنية التي نرجو أن نتجاوزها في القريب. آملين بعرضنا المتواضع هذا أن نكون قد أبرزنا جانبًا من جوانب خدمة تراث مكة، وأملنا أن تتوسع المشاريع لتشمل الموسوعات الكبرى في تاريخ مكة *كالعقد الثمين*.

الهوامش:

١ .تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الفاسي (تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناجي) *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٢.

٢ .أبو اخبر عبدالله بن أحمد المكي مرداد (تحقيق واختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي)، *نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر*، جدة: عالم المعرفة، ١٩٨٦.

٣ .عبدالله المكي غازي، نبذة من كتاب إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، نسخة مكتبة جامعة الملك سعود، رقم ٧٨٢.

٤ .النجم عمر بن محمد بن الهاشمي المكي بن فهد (تحقيق مجموعة من الباحثين)، *إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مكة*: مركز البحث العلمي التابع لجامعة أم القرى، ١٩٨٩.

٥ .العز عبدالعزيز بن عمر بن محمد الهاشمي المكي بن فهد، (تحقيق فهيم شلتوت) *غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام*، مكة: مركز البحث العلمي التابع لجامعة أم القرى، ١٩٨٩.

٦ .أحمد زيني الدحلان، مصر، ١٨٢٥، وانظر كذلك مساعد بن منصور، جدول أمراء مكة وحكامها، مكة: مكتبة النهضة الجديدة، ١٩٦٨م.

٧ .أحمد بن علي تقي الدين المقريزي (تحقيق جمال الشيال) *الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك*، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠.

٨ .إسماعيل حقي جارشلي أوزويد (ترجمة خليل مراد)، *أمراء مكة في العهد العثماني*، جامعة البصرة، ١٩٨٥.

٩ ـ محمد بن عبدالله المكي الأزرقي (تحقيق رشدي الصالح ملحس)، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، مكة: دار الثقافة، ١٩٦٥.

١٠ ـ محمد بن إسحاق بن الفاس المكي الفاطهي (تحقيق عبدالملك بن دهيش)، *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*، مكة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٨٦.

١١ ـ أحمد السباعي، *تاريخ مكة المكرمة*، مكة: النادي الأدبي، ١٩٧٩.

١٢ ـ محمد عمر رفيع، *مكة في القرن الرابع عشر الهجري*، مكة: النادي الأدبي، ١٩٨١.

١٣ ـ السباعي، مرجع سابق.

١٤ ـ محمد علي مغربي، *تاريخ مكة*، جدة: تهامة ١٩٨٥.

١٥ ـ هناك العديد من الكتب التي تناولت طرفًا من الحياة اليومية لمكة وتقاليدها منها ما كتبه: حسن عبد الحي قزاز، أهل الحجاز، جدة: مطبعة المدينة، ١٩٩٤ وعبدالله الخطيب، كيف كنا؟، القاهرة: المطبعة العلمية، ١٩٦٢، وغيرها كثير.

16 - R. Bulliet, Conversion to Islam. Harvard University Press, 1975

١٧ ـ مونتجمري وات، *محمد في مكة* وكذلك *محمد في المدينة* صيدا: المكتبة العلمية، ١٩٦٨.

18 - Femand Braudel, La Mediterranee et Ia monde meditrraneen a I'epoque de philippe II, UPF. 1966.

19 - S.D. Goitenen, A Mediterranean Society, Vols, University of Calofornia Press, 1967 – 1988.

20 - harold Matzki, "The role of non –Arab Converts in the Development of Early Islamic Law" Jouranl of Islamic Law and Society, vol. 6.No (3), 1999, pp.293 -217.